Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما قد يرجح هذا، ما قاله الجاحظ نفسه عقب توجيهه مصطلح (البديع) إلى (المثل/الاستعارة) فى النص السابق: " والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان."(٩) ولا يعنينا فى هذا القول قصره البديع على العرب، فهو هنا - وعلى حد تعبير الدكتور جابر عصفور(١٠) - فى فورة من فورات حماسه للعربية، وإنما مايعنينا ما ذكره من مردود (البديع) على اللغة، وهو الثراء، والثراء وليد المجاز اللغوى(١١).

ويذكر الجاحظ - مرة ثانية - بعض الشعراء الذى اقترنوا أو شهروا بـ(البديع)؛ إذ يقول:" والراعى كثير البديع فى شعره، وبشار حسن البديع، والعتابى يذهب شعره فى البديع"(١٢). بيد أنه - هذه المرة - يذكر من بينهم. بل أولهم (الراعى) وهو شاعر أموى - فضلا عن الأشهب بن رميلة وهو من المخضرمين - مما قد يوحى بإشارة الجاحظ إلى أصالة البديع فى الموروث الشعرى السابق على هؤلاء الشعراء المحدثين، يقول الدكتور شوقى ضيف:" وربما كان ذكره للراعى بين أصحاب البديع - وهو شاعر أموى - هو الذى أوحى لابن المعتز بفكرته التى دعا لها فى كتاب (البديع)، ونقصد فكرة أن المحدثين قد سبقوا فى البديع من قديم."(١٣).

وابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وهو أول من أفراد (البديع) بدراسة مستقلة، ورغم أنه محدث، يصرح فى مفتتح (كتاب البديع) بإنكاره سبق المحدثين إلى البديع*، فهذا الإنكار هو غرضه من هذا الكتاب، إذ يقول:"وإنما غرضنا فى هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من أبواب البديع."(١٤) فالبديع - فيما يرى ابن المعتز - جاء فى الموروث الدينى و الموروث الشعرى السابق على هؤلاء المحدثين، وليس لهم من مزية فى هذا البديع سوى الإكثار منه، يقول ابن المعتز:"قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن، و اللغة، وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه) وكلام الصحابة، والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون (البديع)؛ ليعلم أن بشارا، و مسلما، وأبا نواس، ومن تقيلهم، و سلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم، فعرف فى زمانهم، حتى سُمّى بهذا الاسم"(١٥).

وينص ابن المعتز على الدلالة التى وضع لها مصطلح (البديع)، فى قوله:" البديع: اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم. فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو."(١٦).

وتتسع هذه الفنون - عنده - عما كانت عليه عند الجاحظ، فقد خص - أولا - مصطلح (البديع) بخمسة فنون(١٧)، هى: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على